أثر الحروب والبيئة على السكان

تعدُّ المشكلات البيئية التي واجهت العراق بسبب النظام البائد وسياسته القمعية على العراق من الأسباب التي أدّت إلى ارتفاع معدلات التلوث وما صاحبه من اختلال كبير في التوازن البيئي بعد أن كان العراق يسمى ماضيه (ارض السواد) لشدة خصوبته وتدفق نهراه بدون انتهاء ليحوله الى جنة خضراء، باتت ارض الرافدين اليوم تعاني من اتساع رقعة التصحر فضلًا عن العديد من مسببات التلوث الأخرى مصانع الأسلحة في زمن النظام البائد، ومواقع وكالة الطاق الذرية، واستخدام مختلف الاسلحة والذخائر في الحروبِ .

١- **معركة نهر جاسم**: جرت المعركة للمدة من (٨ يناير ١٩٨٧م) وحتى (٢٦ يناير ١٩٨٧م) تعد أكبر معركة في الحرب العراقية الإيرانية من ناحية الخسائر المادية والبشرية، إذ تم عمل حاجز صناعي هو عبارة عن بحيرة اصطناعية سميت بحيرة الأسماك، وقد تم جلب الماء لهذه البحيرة من شط العرب عن طريق قناة مائية تسمى نهر جاسم، إذ تم كهربة مياه البحيرة وحفر الخنادق والملاجئ وحقول الألغام والأسلاك الشائكة حول النهر، كما تم وضع المدفعية والدبابات في الخطوط الخلفية وبذلك تركت تلك المعركة مخلفات وآثار بيئية كبيرة وطويلة الامد لذلك النهر، إذ تلوث النهر بمخلفات الحرب من المتفجرات والألغام ورفاة الموتى واختلط ماء النهر بدماء الضحايا وبمخلفات البترول الناتج من انفجار واحتراق الحقول النفطية القريب منهُ، وانخفض منسوب الماء لدرجةٍ كبيرة وازداد وضعه سوءً وعدم رفع الأوحال المستقرة في قاع النهر بسبب الألغام، أدّى بهذه المواد إلى أن تصبح سامة فتتأكسد بقايا الأسلحة وتفاعل النفايات الصناعية والطبية تولد سمومًا قد تبقى نشطة لعقود من الزمن وتنفذ إلى أجسام الناس، وكل هذا قد يتسبب بانتشار حالات الإصابة بالسرطان بين الناس

الذين يعيشون بالقرب من النهر ويعتمدون عليهِ في معيشتهم، كما يؤدي إلى زيادة انتشار الأمراض المنقولة عن طريق المياه الملوثة .

٢- **<u>حقول الألغام والمخلفات الحربية</u>**: لا تزال الألغام الأرضية والذخائر غير المنفجرة وغيرها من بقايا الحرب المميتة تشكل تهديدًا خطيرا في العراق عامة وفي محافظة البصرة خاصة وهي تضيف صعوبات أخرى للصعوبات العديدة التي يتعين على المدنيين العراقيين مواجهتها بسبب عقود من النزاعات المسلحة، وتنتشر مخلفات الحرب القابلة للانفجار في أماكن مختلفة، وتشير التقديرات الصادرة عن الدراسة الدولي التي أُجريت بين عامي ٢٠٠٤م ـ ٢٠٠٦م بعنوان (مسح أثر الألغام الأرضية) إلى أن ١٧٣٠ كيلو مترًا من الأراضي العراقية ملوثة بشكلٍ كبيرٍ، وهذه المساحة تشمل (١٣) محافظة عراقية، وتعد محافظة البصرة من أكثر المحافظات زرعًا بالألغام؛ ونتيجة لذلك أصبح الخطر يحدق بسلامة أكثر من (١,٦) مليون عراقي ويهدد سبل معيشتهم ويقع معظم التلوث الناتج من الاضطرابات الداخلية والنزاعات الدولية على طول الحدود العراقية مع إيران وتركيا .

وهذه المخلفات من أهم الأسباب التي أودت بحياة الناس نتيجة الأمراض الصحية المختلفة الناجمة عنها، ومن أهمها الأمراض السرطانية، ويعزى المختصون الأمر إلى مخلفات الحرب لا سيما (اليورانيوم) وسواه من الأسلحة التي استخدمتها القوات الأجنبية التي دخلت البصرة في عهد النظام البائد فضلًا عن الملوثات البيئية .

وهناك آثارًا أخرى هي انفجار الألغام المتروكة مُخلفة ضحايا وهي الألغام المضادة للأشخاص والدروع .

ومن أكثر المناطق تلوثًا بالمخلفات الحربية هي: قضاء الفاو، وقضاء شط العرب، وقضاء أبو الخصيب، وقضاء الزبير، وقضاء المدينة والدير في أطراف البصرة التي كانت

أماكن عسكرية دارت فيها بعض المعارك، كما كانت لهذه المخلفات الحربية آثارًا سلبية على الأراضي الزراعي الخصبة كما هو الحال في منطقة سفوان وقضاء شط العرب الذي تأثرت بالقصف خلال فترة الثمانينات خلال الحرب العراقية ـ الإيرانية ودمرت خلالها مزارع النخيل والحبوب وكل أشكال المزروعات والبساتين وتحولت حالها حال بقية مناطق العراق إلى أراضي جرداء قاحلة لا تنبت فيها المزروعات .

٣- **حرق آبار النفط:** إن من بين الأضرار بالبيئة بسبب سياسات النظام البائد التلوث الناجم عن قصف آبار النفط وحرقها مما يتسبب في هطول أمطار حامضية تهدد الزراعة والغابات بما تحمله من سموم تؤثر في كيمياء التربة وتقتل الزروع والنباتات، أي أنَّ الحرائق طويلة الأجل للنفط في العراق ستؤثر سلبًا في المناخ والبيئة، يمكن أن يؤدي التلوث النفطي أيضًا إلى تلوث الأرض والمياه الجوفية والمياه السطحية الناجم عن النفط المتسرب على الأرض واستمرار تلوث التربة، وإن احتراق النفط يؤدي إلى انبعاث العديد من الغازات التي تؤدي الى تلوث الهواء .

وأثبتت العديد من الدراسات أنَّ التأثيرات الناجمة من حرق آبار النفط تكون ذات سُميَّة شديدة وتأثير خطير في الكائنات الحية والتربة والمياه وتسبب أضرارًا بيئية، كذلك تؤثر بدرجة كبيرة في النشاط الميكروبي لتحلل النفايات والمخلفات العضوية، وهذا يؤدي إلى تراكمها ونشوء الأمراض والأوبئة بسبب انفجار آبار النفط في مناطق مختلفة من الحدود ما بين العراق والكويت لا يقتصر تأثيرها في الإنسان فحسب بل تمتد لتشمل النبات والحيوان والتربة والماء والهواء .